

من موروث ولاية النعامة الثقافي – دراسة نموذجية للتحيات والتلبيات – *From the legacy of the State of Cultural Ostrich -Typical meningococcal study-*

د. أمينة بلهاشمي*

أستاذة محاضرة (أ) المركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة – الجزائر

walhassiya@gmail.com

الباحث الأكاديمي / محمد عيادي

المركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة – الجزائر

mohammednaser59@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/01/29

تاريخ القبول: 2022/12/23

تاريخ الإرسال: 2022/01/15

ملخص: إنّ لكل أمة تراثاً يشهد على تاريخها ويحافظ على ذاكرتها، ويرصد سير حياتها ومراحل تطورها، فمن خلال الموروث الثقافي للأمة يتضح لنا أنّه يترّج على مكانة مرموقة، إذ يحمل قضايا متشعبة منذ ظهوره وطور تكوينه، فهو يحمل عادات وتقاليد تفتخر بها الشعوب، كما استطاع أن يفرض، وجوده ضمن أهمّ الفنون الشعبية الفلكلورية، وهذا راجع لارتباطه بعادات وتقاليد شعوبنا داخل المجتمعات والمجتمع الجزائري أحدها. تسعى هذه الدراسة إلى عرض جانب من التراث الثقافي الجزائري، وتقصي بعض نماذج في موروث ولاية النعامة الشعبيّ ممثلاً في "التحيات" و"التلبيات" المتداولة في بعض عروش المنطقة، وبما يمكننا من إلقاء الضوء على مواطن الاختلاف والاختلاف في إلقاء التّحية أو الدّعاء بها خيراً أو شراً. الكلمات المفتاحية: الموروث – الثقافة – التّحية – التّلبية – الجزائر.

Abstract: Every nation has a heritage that bears witness to its history and its memory. It monitors the progress of its life and the stages of its development. Through the nation's cultural heritage, it is clear to us that it has a high status.

This study seeks to present a part of the Algerian cultural heritage, and investigate some of its models in the popular heritage of the state of Naama, represented in the "Salutes" and "Talbiyyat" circulated in some thrones of the region, and in a way that enables us to shed light on the areas of the coalition and the difference in saluting or praying for it well. or evil

Key- words: Inheritance - Greeting - Almighty - Algeria

مقدمة:

اخترنا هذا البحث الموسوم (من موروث ولاية النعماء الثقافي- دراسة نموذجية للتّحيا والتّلبيات) فأثرنا أن ندرسه دراسة وصفية تنقّض عنه الغبار ونعزز به مكانته بين الأجناس الأدبية الأخرى، كان اختيارنا لهذا الموضوع لدافعين موضوعي وذاتي؛ فالدافع الأول، هو تحقيق رغبة الاكتشاف والتقصّي لموروثنا الثقافي الجزائري؛ أما عن الدافع الثاني فهو الوقوف الموروث الشعبي في ولاية النعماء محاولين الوقوف على رصيد المنطقة من التّحيات والتّلبيات، إذ لم يسبق في حدود علمنا، أن حظي بدراسة مستقلة.

وقد تطلب استقراؤنا لجملة من التّحيات و التّلبيات قراءة في مصادر ومراجع، عزّزتها تنقلات وزيارات ميدانية لبعض أعراس ولاية النعماء، نذكر منها (عرش الرزاينة الشيخ محمود ببلدية البيوض، وعرش البكاكرة خلوف قويدر بن عمار)؛ ولم يخلُ الأمر من صعوبات اعترضت طريقنا في هذا البحث منها: غناء جمع المادّة التي انعدمت في مكتبتنا المركزية، خاصّة أنّ هذا الموضوع حديث العهد بالدراسة، والتّثبت من المعلومة الشّفوية التي جادت بها قرائح بعض المسنّين، وما يعترى ذلك من ضعف في الدّكرة وأدواء في اللّسان.

فالموروث الثقافي الشعبي لولاية النعماء في "التّحيات والتّلبيات" تنوّع باختلاف اللهجات وتأثّر به، ولذا أمكننا صوغ الإشكالية التالية:

- كيف يمكن لموضوع "التّحيات والتّلبيات" أن يكون موروثا ثقافيا وشعبيا جديراً بالاهتمام؟.
- وهل جاءت هذه على ألسنة القاطنين والمقيمين بولاية النعماء بالجنوب الغربيّ الجزائري؟.
- وهل تتصلّ "التّحيات والتّلبيات" بالفصحى بسبب؟.

أولاً- مفهوم الموروث الثقافي وأنواعه:

يعدّ الموروث الثقافي كنز الأمة، به تفرض وجودها، وتثبت ذاتها وخصوصيتها، وتحقّق طموحاتها، لذلك فإنّ أغلب الأمم والشّعوب سعت دوماً للحفاظ عليه والتّشبث به، ومحاوله إحيائه وبعثه من جديد، تتمتّع الجزائر كغيرها من دول العالم بموروث ثقافيّ معترف بتنوّعه وغناه على المستوى

العالمي وقد يأتي لها ذلك بحكم موقعها، حيث عرفت تعاوبا وتمازجا من حيث قربها للحضارات قبل أن يجود به التاريخ والجغرافيا فموقع الجزائر من حيث قربها من قارة أوروبا وكونها بوابة قارة إفريقيا ومَعْبَرًا إلى الشرق أمراً جعلها في كلِّ مراحل تاريخها هدفا لغيرها من الدول والشعوب، فكانت نتائج ذلك أنها بلغت عدّة مؤثرات ثقافيّة مكنتها من أن تَرِث عن ماضيها تراثا متعدّد المشارب...¹

/- ماهية التراث (الموروث):

أ- لغة:

ظلّ التّراث يتناقل شفهيّا في المراحل الأولى من التّحفاة، وعليه فهو يمثّل الحالة العقليّة الأولى لبيئة معينة، ولهذا نجد العديد من الدّارسين توجّهوا إلى دراسته خاصّة في القرن العشرين وهذا ما أكّدتّه العديد من المعاجم العربيّة التي تناولت هذا المفهوم بإسهاب.

جاء في لسان العرب: "ورث: الوارث: صفة من صفات الله -عزّ وجلّ-، وهو الباقي الدائم، الذي يرث الخلاق، ويبقى بعد فناءهم والله -عزّ وجلّ- يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أي يبقى بعد فناء الكل. "وَرَّثَهُ ماله ومجده، ووَرَّثَهُ عنه وَرْثًا وَرْثَةً وَوَرِاثَةً أو زيد: وَرِثَ فُلَانًا أَبَاهُ يَرِثُهُ وَوَرِاثَةً وَمِيرَاثًا وَمِيرَاثًا. وَأَوْرَثَ الرَّجُلَ وَلَدَهُ مَالًا إِيْرَاثًا حَسَنًا".² و "أَوْرَثَهُ الشَّيْءُ أَبَوْهُ، وَهُمْ وَرْثَةُ فُلَانٍ، ووَرِثُهُ تَوْرِثًا، أي أدخله في ماله على ورثته، وتوارثوه كابرا عن كابر. وورث في ماله: أدخل فيه من ليس من أهل الوراثه. أورثه الشَّيْءُ: أعقبه إياه، وأورثه المرض ضعفا والحزن همّا. والتّراث: من وَرِثَ يَرِثُ مِيرَاثًا: ما يخلفه الرّجل لورثته، والتّاء فيه بدل الواو، يقول "بدر بن عامر الهذيلي": ولقد توارثني الحوادث واحدا، ضرعا صغيرا، ثمّ لا تعلوني. أراد أنّ الحوادث تتداوله كأثما ترثه هذه عن هذه".³

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: "أصل كلمة تراث (وارث) من الوراثه، جعلت الواو تاء لتخفيف التّطق، وقد اتّسع معنى الكلمة بالاستعمال المجازي فأصبحت تدل على كثرة معاودة الشَّيْء وتراكمه. كما نقول: أورثته كثرة الأكل والتّخم والأدواء. وأورثته الحمى ضعفاء وقد استخدمت الكلمة بعد ذلك للتعبير عن انتقال غير المادّي بين جيلين أو أكثر فنقول: هو في أرض مجد، والمجد متوارث بينهم".⁴

وجاء في المعجم الوسيط: "ورث فلانا ومنه وعنه، يَرِثُهُ وَرَثًا وَإِرْثًا وَوَرَاثَةً: صار إليه ماله بعد موته وورث أباه ماله ومجده: ورث عنه فهو وارث الجميع ورثة ووراث. الإرث ما ورد: والإرثُ الإرثُ. وتوارثوا الشيء: ورثه بعضهم من بعض."⁵

كما وردت كلمة تراث في القرآن الكريم للدلالة على الجانب المادي من الإرث، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثُنِي وَيَرْثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾⁶ وهذا استثناء للمال الذي لا قيمة له عند من اصطفاهم ربهم من الأنبياء.

ومما سبق يمكننا أن نستخلص من هذه التعاريف الموجودة في المعاجم القديمة والحديثة، اتفاقها على أن التراث بمفهومه البسيط، هو خلاصة ما خلفته الأجيال السالفة للأجيال الحالية؛ وهو في اللغة كل ما يخلفه الرجل لورثته، أي أبنائه وأهله من بعده، سواء كان مادي كامال والجاه، أو معنوي كالعلم والأخلاق وهو متوارث وقابل للإرث بحكم التقادم والانتقال.

ب- اصطلاحاً:

يعُدُّ التراث مصطلحاً متداولاً في الكتب، يأخذ دلالات وأبعاداً وتصوّرات كثيرة ومتنوعة، حيث عرّفه "رمضان الصبّاغ" على أنّه: "ذلك الموروث الثقافيّ والدينيّ والفكريّ والأدبيّ والفنيّ وكلّ ما يتصلّ بالحضارة والثّقافة، وتراثنا هو الموروث عن السلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة أو غيرها، أي التراث والموروث، فهو يعطيها المعنى نفسه، والتراث كلّ ما يتعلّق بمظاهر الحياة الإنسانية التي تنتقل من جيل إلى جيل.

يُخرج الموروث من دائرة التراث كلّ ما هو جامد كالحجارة والمتاحف، ليؤكد على حقيقة تحرّكه معنا وتفاعله فينا، فتراث أيّ أمة هو بمثابة معيار يحدّد عراققتها وأصالتها "فهو جزء من الموروث الثقافيّ لأدبائنا وفنّانينا، وجزء من الموروث الحضاريّ لأمتنا".⁷

وهذا يدلّ على تضمّن التراث كلّ ما هو حيّ وناض ومتفاعل مع الذات الإنسانية التي تستلهم من الإرث الثقافيّ والحضاريّ ما يمدّها بالحياة والقوّة لمواجهة الواقع.



وجاء في تعريف آخر أنّ التّراث "هو ما ينقل من عادات وتقاليد وعلوم وفنون ونحوها من جيل إلى جيل، نقول التّراث الإنسانيّ، التّراث الأدبيّ، التّراث الشّعبيّ (...) وهو كلّ ما يشمل الفنون والمأثورات الشّعبيّة وقصص وحكايات وأمثال تجري على ألسنة العامة من النّاس وعادات الرّواج والمناسبات المختلفة وما تتضمّنه طرق موروثه في الأداء والأشكال ومن ألوان الرّقص والألعاب والمهارات.⁸

يتّضح لنا من هذا التعريف أنّ جلّ التّراث يتركز على جانبين: معنويّ وماديّ، فهو يُعرّف بالجنب المعنويّ للتّراث المتمثّل في: القصص والحكايات والأمثال التي تجري على ألسنة العامة من النّاس، إضافة إلى الجنب الماديّ المتمثّل في: الرّقص والألعاب، وبعض المهارات، حتّى وإن ركّز هذا التعريف في مفهومه على الطّابع الشّعبيّ للتّراث المتمثّل فيما انتقل من ثقافة شعبيّة من موسيقى ومعتقدات شعبيّة، فإنّه لم يُخرج من دائرته العلوم والآداب التي تُمثّل ثقافة رسميّة، فهو يُصنّف التّراث إلى: تراث إنسانيّ، أدبيّ وشعبيّ.

ومن هذا الحسّ يمكن إدراك أهميّة تقديس الماضي وترسيخه في الضمير الجمعيّ، إذ أنّ التّراث خالد، يتميّز بالحياة والنّمو ليعيش عبر الأزمنة والعصور بالإضافة إلى أنّه سجّل الأُمّة السّياسي والاجتماعيّ المؤثّق لنظّمها الاقتصاديّة والقانونيّة التي سنّتها الحياة "فالتّراث يعجّ بما هو زاخر بالحويّة راسخ في الزّمن لأنّه يعكس مشكلات إنسانيّة ونفسيّة لها القدرة على الصّعود ويتمتّع بميزة الثّبات ومنه ما يعكس مشكلات وقيم معيّنة ومواقف مرحليّة".⁹

وعليه فالتّراث مرتبط عادةً بالفكر والثّقافات، والفنون بشتيّ أنواعها وأشكالها الماديّة المكتوبة منها أو الشّفويّة والتّراث في حقيقته مادّة غزيرة، تحمل تجارب الأمم والحضارات السّابقة التي تصبّ في وعي الحضارة لفهم الواقع ورسم سبل المستقبل ويبقى التّراث بشكل عام وبالمفهوم الإنسانيّ المطلق المعين الذي لا ينضب.

ثانياً- مفهوم الموروث الثقافي:

يُمكن القول أنّ الموروث الثقافي هو حصيلة خيارات أسلافنا الفكرية والاجتماعية والمادية، أي أنه: " الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، واللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي القريب والبعيد"¹⁰ موجود في ذاكرتنا يعيش معنا، وهو يتجسد في أشكال مختلفة خلال حياتنا اليومية" في تصرفاتنا و تعابيرنا وطرائق تفكيرنا، ومهما حاولنا القطيعة معها أو إعلان موته نظرياً أو شعورياً، تظلّ خطاطاته وأنساقه وأنماطه العليا مرشحة في الوجدان ومتمركزة في المخيلة"¹¹ حتى وإن طرأ عليه تغيير نتيجة الظروف المفروضة.

هذا الموروث الثقافي لا نعي به تلك الرواسب والمخلفات الثقافية لماضٍ سحيق فهذه النظرة الساذجة للموروث الثقافي تعمل على بتر التاريخ، وتُسلب حقّه في التعبير عن الحاضر، والتأثر به وتجعله شيئاً من مخلفات الماضي السحيق¹²، وإثماً آثراها تسكن دائماً وجدان أفراد المجتمع، فيكون عناصر الموروث الثقافي من منظور الأنثروبولوجيين دائماً وظيفة تؤدّيها "بطريقة أو بأخرى حتى لو اختلفت عن الوظيفة الأصلية، واعتبروا أنّ المخلفات والرواسب عناصر ثقافية موروثية من أوضاع أقدم ثقافياً، وأنّها لها تأثيرها في أرقى الحضارات، كما اعتبروا أنّ المعتقدات والعادات مخلفات ماضٍ قديم وقد اكتسبت وجودها لا عن طريق المعرفة التجريبية المؤيدة ولا بالحقائق المؤيدة ولا بالقانون الوضعي وإنما بحكم العادة وعلى أساس أنّها جزء من التراث".¹³

إنّ الموروث الثقافي إنّما يعني تلك الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية، التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، ثمّ طرأ على هذا المجتمع تغيير، إذ انتقل من أوضاع أكثر حداثة وهذه الاستمرارية لعناصر الموروث الثقافي بين الأجيال "تحمل معها من التواصل الحضاري عصابات فكر أجيال متعاقبة"¹⁴ يمكن لها ربط السابق باللاحق.

1- أنواع الموروث:

تختلف أوجه التراث وتنوّع مصادره، حيث يمكن تقسيمه إلى قسمين، يُعبّر كلّ واحد منهما بأسلوب معيّن ليضيء لنا جانبا من جوانب الحياة السابقة، حياة الأجداد والأسلاف وعليه نجد:

2- التراث المادّي:

ويتمثّل فيما يخلفه الأجداد من "آثار ظلّت باقية من منشآت دينيّة، وجنائزيّة، كالمعابد والمقابر والمساجد والجوامع والمباني الحربيّة والمدنية كالحصون والقصور والأبراج والأسوار، إلى جانب الأدوات التي استخدمها الأسلاف في حياتهم اليومية".¹⁵

ومن هذا المنطلق يمكننا القول أنّ التراث بهذا المفهوم هو ما خلّفه الأجداد من موروثات ذات المضامين الثّقافيّة الملموسة والمحفوظة مادّيّا في صيغة كتابة، أو رسوم وأشياء، أو مبان، وغيرها.

3- التراث المعنوي (اللامادّي):

ويتمثّل في "عادات النّاس وتقاليدهم وما يعتبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلا عن جيل"¹⁶، وعليه فهذا النوع من الموروثات لا يمكن تجسيده بشكل ملموس، بل هو ينحصر أساسا في قيمة تلك الأشياء المادّيّة الملموسة، أي المعنى العميق غير المرئيّ.

وعليه يمكن القول أنّ الموروث الثّقافيّ المادّي يتّوحد بالموروث الثّقافيّ المعنويّ، فهما غير منفصلان؛ لأنّ الموروث الثّقافيّ جملة من العناصر المتداخلة فيما بينها فهو بذلك لا "يشكّل مجموعة من العناصر المتباعدة، أو الجزئيات المتفرّقة التي تتكوّن وتعمل في فراغ وإنما هناك موجّهات معرفيّة أو محدّدات ذات فكريّة تعمل متضافرة على تشكيل التراث وضمان استمراره"¹⁷ ولا حضارة بدون تراث لأنّها ستصير حضارة طفيليّة ترتوي من تراث الآخر، دون تراثها، بل يجب أن تكون الحضارة أصليّة لا تبعيّة عندها، مستقلّة، تملك جذورها العميقة.

" إنّ تراثنا هو الموروث في كلّ أنحاء العالم، القصص والحكايات والكتابات وتاريخ الأشخاص وما يظهر من قيم، وما عبّر عن هذه جميعا أو تقاليد أو طقوس."¹⁸

يركّز "الصِّبَاغ" في بداية تعريفه على التّراث الذي يُعنى بالجانب الثّقافي ممثلاً في: الدِّين، الفكر والأدب والفن، ومركّزا في الوقت نفسه على ما توارثناه من السّلف سواء كانوا من منطقة واحدة أو من مختلف مناطق العالم، فالّتراث إذن فيه نوع من التّشارك والتّلاحم. ويواصل "الصِّبَاغ" تعريفه فيقول: "... كما أنّ تراثنا هو ما ورثنا من كلّ الأجيال السّالفة منذ العصور القديمة في مصر والصّين مروراً باليونان والمسيحيّة والإسلام حتّى عصرنا الحاضر، كلّ هذا يشكّل تراثاً حيّاً بالنسبة لنا قد يكون هذا الجانب أقرب إلى نفوسنا من ذلك أو العكس".¹⁹

لقد ذكر لنا "الصِّبَاغ" في تعريفه هذا حضارات شكّلت المهد الأوّل مثل: مصر والصّين واليونان والمسيحيّة والإسلام، فكلّ واحدة من هذه الأمم أسهمت بشكل أو بآخر في نشر معالمها. فالصِّبَاغ في تعريفه للتّراث يضمن كلّ ما هو متصّل بالإبداع والمعتقدات، وهو بذلك يُقسّم إلى:

موروث ثقافيّ وآخر دينيّ وآخر فكريّ ورابع فنيّ، وخامس أدبيّ، وقد جعل التّراث واحد في العالم، حيث دمج جميع الأمم والعصور السّالفة وجعلها تنصهر في بوتقة التّراث الذي يبقى حيّاً وناضبا في كلّ العصور.

ويعرّفه "ربيع الصّورت" على أنّه: "حياة أقوام (...) لغتهم وأفكارهم عقيدتهم وممارستهم الحيّاتيّة وإنجازاتهم وأعرافهم من عادات وتقاليد تصنع ما تُطلق عليه الموروث (...) فالّتراث ليس فينا نحن البشر ليس في أيّ شيء آخر، ليس في الأحجار والمتاحف، بل يتحرك معنا ويتفاعل فينا ونفعله ونقوله (...) ولهذا لا توجد أمة بلا تراث، فما دامت أمة فلها جذورها وحضارتها تنتقل عبر الأجيال الممتلئة لهذه الحضارة وهذا التّراث".²⁰

من خلال هذه التعاريف يمكننا القول أنّ التّراث شمل عناصر تتمثّل أساسا في اللّغة والعقيدة والدِّين والعادات والتّقاليد، ولهذا فلا وجود لأمة بلا تراث وبلا مكتسبات قبلية.

ثالثاً- ماهية التّحايا:

يُولد المرء مزوّداً بغريزة حبّ الاطّلاع، فالإنسان بفطرته يحبّ كلّ شيء جميل، إذ بطبيعته يميل للاستطلاع عن كلّ شيء حوله أو أيّ شيء يستوقفه سواء أكان غريباً أو غير مألوف لديه، أمّا من

جانب آخر فإنَّ للبيئة الاجتماعية أثر كبير في تربية النَّشء، وليس من الصَّعب أن يحسَّ الإنسان أنَّه يلمس هذا التأثير في مظاهره الخارجيّة وعاداته الاجتماعية، وهي بدوره تكون بخلقه وميوله ممَّا يقودنا إلى حقيقة ملموسة في حاضر البشريّة وتاريخها بما تشمله من معتقدا وفكرا وقيّما وأعرافا وتقاليدا وغيرها ...

فهي تحكم سلوكه وتطبع تعامله مع غيره بطرق تعبيرية مختلفة نلمس منها: إلقاء التَّحايا أو التَّحيّة . فهي تختلف باختلاف الأعراش وباختلاف نواحيها ومجالاتها وحتى أوقاتها وللتوضيح أكثر يجب الرجوع إلى ذوات الأشياء وإلى طبيعة المعنى الحقيقي للتَّحيّة، وهي بين النَّاس تشريع قديم لاسيما تحيّة الإسلام، إذ أنَّها تعبير عن التَّواصل والموَدّة ويُمكن أن نسمّيه عزوا ثقافيا أو التمسك بالثَّرات.

هذا وإنَّ لكلَّ تحيّة توقيت مناسب، ولكلِّ تحيّة ردُّ يناسبها كأن ترتبط بفترة الصَّباح أو فترة المساء، أمَّا لفظة السَّلام عليكم تبقى ثابتة تُقال في أيِّ وقت، كما أنَّ للتَّحيّة أهميّة كبيرة عند العرب إذ ترتبط بالسَّلم والسَّلام الَّذي يمثِّل أهمَّ القيم الإنسانيّة. وللتدقيق أكثر لا بدَّ أن نتطرَّق إلى تعريف هذه التَّحايا بشقيها اللُّغوي والاصطلاحي، والبداية تكون مع المعنى اللُّغوي.

1- تعريف التَّحيّة:

أ- لغة:

التَّحيّة مصدر حيّ، أصلها تحيّة، كتنمية وترضيّة وتركّيّة وأصل، والأصل تحيّي، بثلاث باءات، فحذفت الأخيرة وعوض عنها هاء التَّأنيث ونُقلت حركة الباء الأولى إلى ما قبلها، ثمَّ أدغمت فيما قبلها فصارَت تحيّة.²¹

ويُطلق لفظ التَّحيّة في كلام العرب ويُراد بها معان أهمّها:

يُراد بها معنى السَّلام:

قال "ابن منظور": أصل التَّحِيَّةِ في كلام العرب السَّلَام، ²² فيُراد به الدُّعاء بطول الحياة ومنه قولهم: حَيَّاكَ اللهُ أي: أَبْقَاكَ اللهُ.

وفي القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبٌ﴾، ²³ بمعنى أَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْمُسْلِمُ فَرُدُّوا عَلَيْهِ بِأَفْضَلِ مِمَّا سَلَّمَ لَفْظًا وبشاشة، أَوْ رُدُّوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا سَلَّمَ وَلَكِنْ ثَوَابُهُ وَجَزَاؤُهُ.

وقال الله تعالى في موضعا آخر: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللهُ﴾ ²⁴ أي أَنَّ الْيَهُودَ إِذَا جَاءُوا إِلَى الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ حَيَّوْهُ بِغَيْرِ التَّحِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُ وَكَانُوا يَجْبُونَهُ بِلَفْظِهِ (السَّلَام عَلَيْكَ) أَيِ الْمَوْتِ لَكَ .

أما في السُّنَّة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَةِ، ومنه حديث "أبي هريرة" مرفوعا: "نُهِىَ عَنِ الْأَفْنِيَةِ وَالصَّعْدَاتِ أَنْ يَجْلِسَ فِيهَا، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَا نَسْتَطِيعُهُ، لَا نَطِيقُهُ، قَالَ: أَمَّا لَا فَأَعْطُوا حَقَّهَا قَالُوا: وَمَا حَقُّهَا؟ قال: غَضُّ الْبَصَرِ، وَإِرْشَادُ السَّبِيلِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمَدَ اللهُ وَرَدَ التَّحِيَّةَ". ²⁵

وَيُطْلَقُ لَفْظُ التَّحِيَّةِ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَيُرَادُ بِهِ الْجُلُوسُ لِلتَّشْهَدِ، وَتَارَةً يُرَادُ بِهِ الصَّيْغَةُ الْمَقْرُوءَةُ فِيهِ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْجَمْعِ الَّذِي تُفْرَدُهُ التَّحِيَّةُ، الْحَدِيثُ "عَبْدُ اللهِ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: "كُنَّا نَقُولُ فِي التَّحِيَّةِ، السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ لَا تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتِ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ، وَغَيْرَهَا". ²⁶

والتَّحِيَّةُ أَعْمُ مِنَ السَّلَامِ لِأَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى كُلِّ مَا يُحْيِي بِهِ مِنْ سَلَامٍ وَتَقْبِيلٍ وَمَصَافَحَةٍ وَمَعَانِقَةٍ وَقِيَامًا وَانْحِنَاءً وَإِشَارَةً.

والتَّحِيَّةُ هِيَ التَّكْرِيمُ وَالاحْتِرَامُ الَّذِي يَسْتَعْمَلُهُ أَهْلُ الْعُرْفِ عِنْدَ مَلَاقَةِ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ أَوْ فِي وَسَائِلِ يَكْتُبُونَهَا أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

ب- اصطلاحا:

هي نوع من أنواع التواصل الاجتماعي الذي يسعى من خلالها الشخص للتعريف عن وجوده من خلال إظهار الاهتمام، وغالبا ما تسبق المحادثات الاجتماعية بالتَّحِيَّةِ، وقد تُستعمل أيضا أثناء المرور بشخص آخر في طريق عام.



وقد تتميزّ بكثرة المناسبات والعلاقات، فتندرج في قائمة الذوق والتّهذيب وتصحّبها في معظم الأحيان المصافحة، تعكس جوانب معيّنة من شخصية الفرد وثقافته.

والثّحيّة هنا تصبح معاهدة ووفاء بين المسلم والمسلم عليه.

وهو ما نجده في معنى (أهلا وسهلا) عند العرب الدّالة على التّرحيب، وهي العبارة الّتي تلخّص سلوك القبائل العربيّة قديما، وتحتزل قيمة أصيلة وهي قيمة الكرم العربيّ الّذي يبدأ بالترّحيب، إذ أنّه ترحيب خاصّ يعكس بطبعه البيّنة الّتي نظّمت حياة هؤلاء النّاس، وهي تمتدّ بين الأهل والغرباء، وهي طقس متوارث عبر الأجيال.

ومنه يُمكن عدّ الثّحيّة أساس من أسس التّواصل بين النّاس، إذا انقطعت انقطع التّواصل والعلاقات بين الأفراد والمجتمعات، وهذا الدّور الّذي تلعبه الثّحيّة في تامين العلاقات وتحقيق التّواصل؛ هو الدّور الاجتماعيّ الأخلاقيّ يُسهم في بناء وحدة الأفراد داخل المجتمع، ومن ثمة تماسك بنيته ومنظومة أخلاقه لنشر الودّ والسّلام.

رابعا- ماهية التّليّة:

اختلف اللّغويون في لفظ "البك" وفي معناه واشتقاقه، فلم ينظروا إليه بصفته كلمة مفردة تحوي في تركيبها على جملة تتكوّن من فعل وفاعل مضمر، وتؤدّي معنى عبارة تامّة اصطاحت عليه الأمة العربيّة منذ أن عرفت هذه اللفظة، وليّ بهذا "إبراهيم الخليل" -عليه السّلام-، وأجابته العرب بمثل ذلك، بل نظروا إليه بصفته لفظة مجردة عن الاستعمال الرّوحيّ الدّينيّ، الّذي يؤدّي وظيفة دينيّة في مناسبات معلومة هو اسم محدد فأخضعوه تارة إلى واحد من الأصول الاشتقاقية في اللّغة الّتي تعود إلى: لَبَأَ وَلَبَّ وَلَبَّبَ وَلَبَّى وثني لأنّه أراد الإجابة .²⁷ وأنّ الله تعالى قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾.²⁸

فهذه إجابة واحدة والثّانية إجابة قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾،²⁹ يُقال إنّ "إبراهيم" -عليه السّلام-، لما أذن بالحجّ إجابة النّاس في أصلاب آبائهم فمن أجابه مرة حجّ مرة ومن زاد زاد.³⁰

والتلبيبة مقرونة بلزوم المداومة عليها وليس هذا المفهوم من التلبيبة بالمعنى الاصطلاحي في الحج وإثما هو بمعناه اللغوي.

فالتلبيبة من: مصدر الفعل المضَّعَف من لَبَّى يُلَبِّي، وأعني إجابة المنادي،³¹ أي إجابة الملِّي ربِّه، وقولهم الإهلال بالحج: لبك اللهم لبك، معناه إجابتي لك يا ربّ، وقيل: معناه إخلاص لك وقيل إثما هو إجابة لأمرك بالحج³² مأخوذة من لَبَّى وأَلَبَّ.

خامساً- التَّحَايا والتَّلْبِيَّات في ضوء السِّياق الثَّقافي:

يقتضي السِّياق الثَّقافي تحديد المحيط الثَّقافي والاجتماعي الذي يُمكن أن تُستخدَم فيه الكلمة، فاستعمال كلمة (عَقِيلَتَه) يدلُّ على طبقة اجتماعية عالية لأنَّ العامَّة تستعمل كلمة زوجته، وإذا أخذنا كلمة (جذر) فعند المزارع معنى وعند اللُّغوي معنى آخر وفي الرِّياضيات قضية أخرى.³³

فالسِّياق الثَّقافي يحدِّده الواقع الاجتماعي، ومفاهيمه مختلفة باختلاف الطبقات، ولو تأملنا المثال الذي ذكره "أحمد مختار عمر" وهو كلمة (جذر) يختلف تفسيره تبعاً لاختلاف الطبقات، ترى مثاله هذا لفظياً وليس سياقياً، فلو وضعنا الكلمة في سياقها لكان مفهومها متفقاً رغم اختلاف الطبقات لأنَّ السِّياق تتخلَّله القرائن، كما أنَّ اللَّفْظ مشترك على أيَّة حال، فكيف يفهم بدلالته اللَّفْظية وهذا ما يُمكن إطلاق المفهوم الأوَّل عليه.

وبعدُ السِّياق الثَّقافي ركيزة أساسية في عملية الترجمة خاصّة، إذ لا يُمكن الاستغناء عنه بل يجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار السِّياق الثَّقافي للنص المترجم حقَّ يقارب الصَّواب في ترجمة محتواه، لأنَّ الترجمة صعبة للغاية لاسيما إذا تعلَّق الأمر بالنص المقدَّس، أو بالنص الأدبي أو بالنص الفلسفي.

فإذا اعتمد المترجم الترجمة الحرفية في اللُّغة لا يصل إلى المعنى المنشود، إلَّا بالاعتماد على السِّياق الثَّقافي، وعليه فاللُّغة استعمال، والمعنى يدخله الغموض ويكون بعيداً عن السِّياقات المختلفة، ولكن ما إن يسبق الكلام حتَّى يتقطَّر المعنى فيه، وينجز السِّياق الثَّقافي بالديناميكية المحركة لتعدُّد المعنى، وليس السِّياق الثَّقافي مجرد ألفاظ ساكنة، وإثما متوالية لا نهائية من المعاني لأنَّه يتصل بثقافات أخرى.³⁴

ومن هنا يتبين أنّ السياق يعتمد على معيارين أساسيين، هما: المقام وهو الموقف أو الحال وهذا ما يبدو واضحاً من خلال ما تقدّم، والمقام هو (النص).
وفكرة المقام هي أساس ما يسمّى في ميدان الدِّراسات اللُّغوية المعاصرة علم الدَّلالة الوصفيّ، وهي كذلك المحور الجوهري لما يُسمّى بنظرية الاتصال وفكرة سياق الحال (هي المركز الذي يدور حوله علم الدَّلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي يُبنى عليه النّسق، أو الوجه الاجتماعيّ، وهو الوجه الذي تتمثّل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية السّائدة).

سادساً- التّحايا والتّلبّيات وأبعادها الثقافيّة:

قادتنا دراسة التّحايا والتّلبّيات، عند الأعراس بعد أن تطرقنا في القسم الأوّل من الدِّراسة في إظهارها العام من مفهوم ونشأة، من جهة ومن جهة أخرى حول القبيلة (الأعراس)، كما سنعرّج لها من النّواحي الفنيّة والمادّية لمدينة التّعامّة ومختلف مناطقها بموروثها الثّقافيّ والحضاريّ وعن كيفية تقديم التّحايا وطلب التّلبّيات فيها.

سادساً- التّحايا والتّلبّيات في عرش الرزاينة بالمنطقة الشّماليّة:

1- الصلح:

الصلح بين النّاس يجب أن يتحرّاه كلّ مسلم، ولإصلاح ذات البين أصول وقواعد يكون أوّلها باختيار الوقت المناسب لذلك، فمن الأفضل ألاّ ينتظر المصلح حتّى تحفّ حدّة الخلاف بين الأطراف وتبرد القضية، ويذهب الغضب عنهم، ثمّ يذهب ليصلح بينهم، ثمّ إنّ عليه أن يكون لطيف المقالة، جميل العبارة، فيذكر محاسن ومحامد كلّ طرف عند الطرف الآخر، كما يجوز له أن يتوسّع بالكلام، وله أن يكذب إن اضطر إلى ذلك، ثمّ يحذّر أطراف الخصام ويذكّرهم بعواقب فساد ذات البين، ويجب ألاّ يتعجّل في الحكم، وبتمهّل في ذلك، فالحجّة قد تُفضي إلى الإفساد بدل الإصلاح³⁵، ومصدّقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَكَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ وقال تعالى ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْصِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. ³⁷

فالصلح معروف منذ القديم، ففي المنطقة الشمالية لولاية النعامة (عرش الرزاينة ببلدية البيوض) كان يذهب كبار القبيلة وأهل الجاه وأصحاب المقام من أعيان البلدة، ويصحبون معهم فقيها يمثلهم أو يتكلم باسمهم.

أول تحية بعد تحية الإسلام "بجاه ربي رانا جيناكم من أجل الصلح". ³⁸ وبعدها يفتتح الجلسة بآيات من القرآن الكريم والآية المعروفة التي تدلّ على الصلح قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. ³⁹

هذه الآية الكريمة تتضمن إصلاحا بين الناس، أي إصلاح عام في الدماء والأموال والأعراض، ممّا يُفضي إلى إزالة الشقاق بين الأفراد والقبائل بهدف تحقيق الألفة.

ولقد كانت دعوة الأنبياء والمرسلين إلى إصلاح النفوس من البغض وكلّ ما يتعلّق بها من شهواتها، وكذلك تربية هذه النفوس تربية حسنة، لبناء حياة اجتماعية طيبة يسودها الإخاء والمحبة الربانية والإخلاص والإنسانية... ثمّ يقول مخاطبا:

"أَيُّهَا الْجَمْعُ الْكَرِيمُ تَهْدِيبُ النَّفُوسِ وَالْأَخْلَاقِ هُوَ رُوحُ الْحَيَاةِ وَسِرُّ السَّعَادَةِ بَيْنَهُمْ، وَهِيَ عِمَادُ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الشُّعُوبِ". ⁴⁰ في هذا قال "أحمد شوقي":

إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

ويتّمّ بعده الرّدّ من أحد أعيان الطّرف المقابل بقوله: "مَدَامَ لِي جِئْتُوْهُ عَلَيْهِ قُبْلَتَاهُ وَجَاهُ اللَّهِ عُمَرَهُ مَا يُثَرَّدُ" ⁴¹ ويتجسّد الصّلح والمحبة ويزول كلّ شيء.

2- الدّية:

تُعرَف الدِّيةُ في زماننا هذا خاصّة في منطقة النّعام، وما تحويه من أعراس وقبائل بتصفية القلوب، وتقديم المعروف للذين وقعت عنهم روح الخطأ، وغالبا ما تكون لأهل الميّت، وهذا المبلغ يمشي على مَرّ العصور والأزمنة، ولكن لكلّ زمان له عُرف.

من عادات المنطقة أن يذهب مجموعة من النّاس، كبارهم ومن لهم المقام العالي والمعنيون بالدِّية، فيُعزّونهم ويقولون لهم: "الله يُعظّم الأجر" فيردّون عليهم: "الله يُثبّت الأجر"، ويقولون لهم أيضا كلام طيّب ويساعدونهم في العزاء من أكل وشيّا. ويظهرون أسفهم وحزنهم على الحدث الذي ألمّ بهم وكأنّهم هم المصابون، كما يتقدّم كبيرهم أو صاحب الجاه معذرا طالبا منهم التّسامح بقوله: "جماعة سَمَحُولْنَا بَضِياف رَيّ".⁴²

ثمّ يأتي الرّد من النّاس الآخرين، أي أهل العزاء: "زانا قُبُلْنَا نَحْيِكُمْ وعلى لي قُلتوه ومرحبا بضيوفنا، وضيف رَيّ عُمَرَه مَا يَتَرَدّ، نَتُومَا مرحبا بيكم وحنّا تُرَحُّو بيكم وراكم في داركم وبين حوُتكم وأهلكم".⁴³ ونحن جدّ مسرورين وأنّ حضوركم هذا يعبر بصدق عن مبادئ الشّريعة الإسلامية التي تفرض علينا الصّلاح والتّسامح.⁴⁴

- الزّواج:

النّحاي في الزّواج لا تختلف بالكثير عن ما تطرقنا إليه في الصّلح والدِّية.

الزّواج سنّة كونية منذ أن خلق الله تعالى الإنسان تتيم بإقامة علاقة ما بين الرّجل والمرأة بعقد معين، ولا تقوم هذه السنّة حتّى يكون الهدف الاتّفاق والتّناسل وتكثير السّلالة والتّحصين... أوّل ما يكون الخطبة، والتي هي الفترة الزّمنية التي تسبق عقد الزّواج لتحقيق التّعارف بين الطرفين وفسح إمكانية التّوافق بينهما إذ يستطيع كلا الخطيبين أن يعرف الآخر ويتعرّف على فكره وطباعه وسلوكياته وظروفه حتّى يكون الإقدام على الزّواج هدى وبصيرة⁴⁵ قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا

فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَخَذَرُوهُ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ (235) ﴿٤٦﴾ وبالحديث عن الزَّوْجِ فِي مَنْطِقَتِنَا
المنطقة الشَّمالِيَّة لولاية التَّعَامَةِ (الببوض عرش الرزائية).

أَوَّلُ تَحِيَّةٍ بَعْدَ تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ هِيَ "ضِيَّافَ رَبِّي" ⁴⁷، والمقصود منها أَنَّنَا قَدْ حَلَلْنَا بِكُمْ ضُيُوفًا مِنْ
الرَّحْمَانِ، هَذِهِ تَحِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ وَالْعُرْفُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ بِهَا، فَيَأْتِي الرَّدُّ: (أَيِ التَّلْبِيَّةِ)
"مَرْحَبًا بِضُيُوفِنَا وَبِكُلِّ شَيْءٍ تَطْلُبُوهُ مِنَّا" ⁴⁸ وَيُضَيِّفُونَ قَوْلَهُمْ: "الدَّارُ دَارُكُمْ وَمَرْحَبًا بِبَيْتِكُمْ"، وَيَنْبَغِي عَلَى
هَذِهِ التَّلْبِيَّةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

يَا ضَيْفَنَا لَوْ زُرْتَنَا لَوَجَدْتَنَا نَحْنُ الضُّيُوفُ وَأَنْتَ رَبُّ الْمَنْزِلِ ⁴⁹

فِيَتَحَدَّثُ كَبِيرُهُمْ أَوْ فَهْمُهُمُ الْمَكْلَفُ: "نَرِيدُ أَنْ نَدْخُلَ فِي حَوْمَتِكُمْ وَالْمَصَاهِرَةِ مَعَ زُمْرَتِكُمْ"،
فَيَأْتِي الْجَوَابُ: "نَحْنُ جَدُّ مَسْرُورِينَ بِمَجِيئِكُمْ وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَيُوَفِّقَكُمْ لِكُلِّ مَا فِيهِ الْخَيْرُ لَنَا
وَلَكُمْ" ⁵⁰ وَمَصْدَقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وَتَطْبِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِنَا
الْكَرِيمِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ" (رواه الترمذي). وَبَعْدَ هَذِهِ الْمَشَاوِرَةِ يَتِمُّ إِكْرَامُ الضُّيُوفِ الْآتِيَيْنِ إِلَى الْخُطْبَةِ وَقِرَاءَةِ
آيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَيَكُونُ بِحَسَنِ الْاسْتِقْبَالِ وَحَسَنِ ضِيَاغَةِ، وَبِكَلَامِ طَيِّبٍ يَعْكُسُ طَبِيعَةَ سُكَّانِ
الْمَنْطِقَةِ فَهْمُ مَتَعُدُونَ عَلَى هَذِهِ الْعَادَاتِ مِنْذُ الْقَدَمِ، وَهِيَ مَوْرُوثَةٌ وَمَتَدَاوِلَةٌ فِي كُلِّ أَعْرَاشِ الْمَنْطِقَةِ.

لَكِنْ الْخُطْبَةُ فِي حَاضِرِنَا تَغَيَّرَتْ بِتَغْيِيرِ الْأَجْيَالِ، فَخُطْبَةُ الْقَدَمِ لَيْسَتْ كَخُطْبَةِ هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي
أَصْبَحَ النِّسَاءُ هُمْ مَنْ يَذْهَبْنَ أَوَّلًا وَبَعْدَهَا فَإِمَّا يَكُونُ الْقَبُولُ أَوْ الرِّفْضُ، فَالرِّجَالُ يَذْهَبُونَ مِنْ أَجْلِ
الْمُفَاهِمَةِ عَلَى الشَّرْطِ.

4- الطَّلَاقُ:

الطَّلَاقُ هُوَ انْفِصَالُ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ عَنِ الْآخَرِ، أَيْ خُلِّ عَقْدُ النِّكَاحِ بِلَفْظٍ صَرِيحٍ أَوْ كِنَايَةٍ مَعَ
النِّيَّةِ، وَفِي مَنْطِقَتِنَا أَحْيَانًا رَدُّ الْمَطْلُوقَةِ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا يَكُونُ بِذَهَابِ أَعْيَانِ الْقَبِيلَةِ إِلَى أَهْلِ الْمَطْلُوقَةِ،
وَيَبْتَدِئُ الْكَلَامُ بَعْدَ التَّحِيَّةِ "رَأَا جَابِينَ وَحَشَمَانِينَ وَرَاهَ وَلَدْنَا غُلَطٌ وَمَرَاهُشَ بَاغِي يَتِمُّ أَوْلَادَهُ وَرَأَا
جَابِينَكُمْ وَجَمَلُوا عَلَيْنَا ضِيَّافَ رَبِّي" ⁵¹ فَقَدْ وَقَعَ الْخَطَأُ وَتَقُولُونَ: "لِيَا حُمَا رَأْسَ يَبْرَدُ رَأْسٌ" ⁵² وَ
يَأْتِي الرَّدُّ: "مَرْحَبًا بِبَيْتِكُمْ" ثُمَّ يَتَحَدَّثُ الْإِمَامُ وَأَوَّلُ مَا يُقَالُ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ



بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا⁵³؛ وعملا بالحديث النبوي عن "أبي هريرة" - رضي الله عنه - قال، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر" (رواه مسلم)⁵⁴. ولا بُدَّ من سعي كلا الزوجين لبلوغ الرضا في حياتهم الزوجية، ويكون ثمرة ذلك شكر الله تعالى وحمده على نعمه؛ ولا يتحقق الرضا إلا إذا سعى كل واحد من الأزواج إلى تطوير نفسه وتفاعله مع شريكه راغبا في الوصول إلى هذه الغاية العظيمة. ويكون الرد: "مدام حضروا فيها الحجاج زاننا رضيانا وكلشي والوصاية"⁵⁵ بعدم تكرارها، ويحتم الإمام ب: "الحمد لله ما طيحتوش هدرتنا" وبارك الله فيكم وطيب الله محبتكم.⁵⁶

سابعاً- التّحايا والتّلبّيات في عرش البكاكرة (أحيان شافع):

1- الزّواج:

من العادات الحميدة المباركة سُنّة الزّواج والمصاهرة فعند: عرش البكاكرة (أحيان شافع) بمنطقة مكن بن عمار بناحية (الشّطّ الغربيّ لولاية التّعامة)، تتمّ عادات طلب العروس لأهل العريس على صفاته الصّيغة: بداية في الحضور إلى بيت المضيف -وهو أهل العروس-، وطلب القرب منهم انطلاقاً: بالوُجّاب وبعد تحية السّلام "ضياف ربي... ضياف الله"⁵⁷ وتلبّية أهل العروس "مرحبا... مرحبا بربي جا وجاب الخير معاه"⁵⁸، يأتي الردّ من أهل العريس القاصد: "أنتموما من ناس الخير وأهل الخير وزاه كُتّب لينا ربي باش نُقصدوكم وقاصدين فيكم الخير"⁵⁹؛ الردّ التّلبّية من أهل العروس: "وأنتم من أهله"، تعود الكلمة لأهل العريس: "زانا قاصدينكم بالله وفي الخير يا أهل الخير وطالبينكم في بنتنا ألي هي ابتكنم (فلانة) لولدنا ألي هو ولدكم على سُنّة الله ورسوله"⁶⁰. مرحبا بكم وبقصدم الشّريف زانا راضيين بكم وعاطينكم إذا سخر الله"⁶¹، الردّ من أهل العريس: "وشّي هو شرطكم؟" (المهر، الصداقة)⁶²، الردّ من أهل العروس: "شَرطنا لي كُتّب ربي وقال عليه سيدنا رسول الله وشرطنا هو الهنا والسّترّة ودوام العشرة"⁶³، "زانا قابلين وعلى بركة الله وتسخيره"⁶⁴.

2- ردّ الدّين لأصحابه:

عند أهلها وأصحابه كانوا يعلمون شيوخ القبيلة قديما أوقايد العرش في الفترة الاستعمارية، ثم بعد الاستقلال أصبح هذا الشأن من الأمور التي يتكلف بها أهل المديان، وخاصة إذا توفي فيجمعون أمرهم لتنفيذ وصيته بدفع وقضاء الدين عنه؛ فيذهبون إلى بيت الشخص صاحب الدين ومن جملة التحايا والتلبيات في هذا الباب، أهل المدين المتوفي مع زمرة من أصحابه أو شيوخ فلقتة بعد الوجاب وتحية الإسلام: "بسم الله رانا قاصدينكم بضيايف ربّي".⁶⁵

ويتم الرد مباشرة: "مرحبا بكم وبشي لي جابكم"⁶⁶، الرد: "رانا قاصدينكم على الخير وعلى أمر وعاهد راه قاعد على رقابنا"،⁶⁷ ويتم الرد: "الخير إن شاء الله"، يتم الرد من أهل المدين: "يا جماعة الخير صلوا على النبي عليه الصلاة والسلام، رانا جابنكم على أمر دين لي كان في عنق ولدنا (المرحوم) الله يرحمه ورانا جابين نخلصوه ونقلعوه من رقبتة ويقولوا ناس بكري ألوالى" لي قال رزقي ما قال عيب؛ والدين هذا على حساب ما قال بنعمه راه مقدر ب(....) وكما تعرفوا يا حباب الله وعباده بلي الدائم هو الله والدنيا هذي فانية ما يدوم حال"⁶⁸، ثم يأتي الرد من صاحب الدين: "ياوذي حنا غي خيمة وحدة وولاد غمووية وهذا المرحوم الله يرحمه وكما يقولوا جدودنا ألوالى: "ناس قاع بالناس والناس قاع برّي".⁶⁹ وبعدها الرد من صاحب المديان: "بارك الله فيكم كيما فرجئو على ولدنا في الضيق راه مولانا يفرج عليكم في كل ضيق وكل وسع".⁷⁰ يتم الرد بعدها، أي خاتمة الحديث: "رانا عند بعضانا ولبعضانا وهذا رزق ربّي".⁷¹

الخاتمة:

من خلال الجولة المعرفية التي عشنا فيها مقتطفات من فيض التحيات والتلبيات بولاية التامة، يمكننا القول:

- إن ولاية النعمة فضاء رحب للتراث اللامادي، وثراءها بزخم تراثي -خاصة الأدب الشعبي- يعكس أوجه التعبير الشفوية القولية، التي وجدت عند الأعراس على غرار الولايات الوطنية الأخرى.
- أتاحت الرقعة الجغرافية لولاية النعمة فرصة الانفتاح من الشمال على السهوب البدوية بالنسبة لأعراس حيان والرايزة والتركيبية السكانية لعاصمة المشرية.

- كما أتاحَت الفرصة نفسها للعمور والمجازبة وأهل القصور وما إلى ذلك، بالنسبة للأعراش المتواجدة بالجنوب بعاصمة عين الصفراء.

- تعدّدت أوجه التّحيات والتّلبّيات وتميّزت عند الأعراش، وهناك نقاط تلاقي في إلقائها وإحياء طقوسها بين الأعراش، نحو: الزّواج، والطلاق، والدّية، وردّ الدّين.

- نجد بعض التّباين عند الأعراش وبعض الاختلاف إزاء التّحيات والتّلبّيات عند الرزاينة وحميان، قياساً إلى نظيراتها لدى العمور والمجازبة، لكن هو اختلاف طفيف نلمسه من خلال المشاهدة، كما نجد اختلافاً في توظيف الأمثال والحكم والصّيغ التّراثيّة ذات الحكمة التّوجيهية والإرشادية العفوية، وهو ما أفضت به طبيعة الممارسة الميدانيّة، في ولاية مجيدة وعريقة من حيث تركيبة سكّانها ومن حيث تاريخها المجيد خاصّة؛ وهي الولاية الّتي شهدت المقاومة ضدّ الاستعمار البغيض، وعرفت أساليب متعدّدة في التّشيد والتنمية وعناية كبيرة بالتّراث التّقائيّ والشّعبيّ بعد الاستقلال المجيد.

- تباينت التحيات والتلبّيات في ولاية التّعمامة وتلازمت موازنة بنظيراتها في ربوع الوطن، وهو ما يتطلّب بحثاً مستقلاً.

الهوامش:

¹ - إيمان هنشيري، الموروث التّقائيّ الجزائريّ الواقع والآفاق، مجلّة حوليات التّراث، ع17، جامعة عنابة، الجزائر، 2017م، ص:1.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 1990م، مجلد2، ص:199.

³ - المصدر نفسه، ص:201-202.

⁴ - إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بيروت، ط2، 1972م، ج1، ص:108.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص:200.

⁶ - سورة مريم، الآية: [4-5].

⁷ - فاروق فورشيد، الموروث الشّعبيّ، دار الشّرق، القاهرة، ط1، 1998م، ص:35.

- ⁸ - الموقع الإلكتروني: www.Alasfoor.org
- ⁹ - طرد الكيسي، التراث كمصدر في نظرية المعرفة، العدد: 1، دار العودة، 10 أكتوبر 1977م، ص: 28.
- ¹⁰ - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م، ص: 21.
- ¹¹ - سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى - من أجل وعي جديد بالتراث -، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م، ص: 266.
- ¹² - إيمان هنشيري، الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق، مجلة حوليات التراث، ع17، جامعة عنابة، الجزائر، 2017م، ص: 98، 99.
- ¹³ - فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي - دراسة ميدانية -، دار المعرفة الجامعية، 2008م، ص: 229.
- ¹⁴ - فوزي العنتيل، الفلكلور: ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، دار المعارف، مصر، 1965م، ص: 23.
- ¹⁵ - الموقع الإلكتروني: www.irgna-iq.com
- ¹⁶ - المرجع نفسه.
- ¹⁷ - حسين محمد فاهيم، أدب الرحلات - دراسة تحليلية من منظور راثولوجيا في سلسلة عالم المعرفة -، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رقم 138، الكويت، يناير 1989م، ص: 122.
- ¹⁸ - رمضان الصباغ، في نقد النّوع العربي المعاصر - دراسة جمالية -، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2002م، ص: 368.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص: 368.
- ²⁰ - ربيع الصبيروت، اللغة والتراث في القصّة والرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، 2003م، ص: 53.
- ²¹ - الفيروز أبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي وذكريا جابر أحمد، دون دار نشر، دون بلد، د ط، 1429هـ/2008م، ص: 1249. ينظر: آلوسي حمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، السبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 97/5.
- ²² - ابن منظور، لسان العرب، المصادر السابق، 217/14.
- ²³ - سورة النساء، الآية: 86.
- ²⁴ - سورة المجادلة، الآية: 8.

- ²⁵ - "أبو هريرة" - رضي الله عنه - عبد الرحمن بن صخر الدوسي، حديث شريف، تح: علي محمد البخاري ، دار الجليل، بيروت، ط1، 1412.
- ²⁶ - ابن مسعود أبو عبد الرحمن عبد الله، حديث شريف: حديث صحيح أصله في صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت، ص:23.
- ²⁷ - ليلي توفيق العمري، تلييات العرب، مجلّة دمشق، العدد:3-4، 2005م، المجلد: 21، ص: 137.
- ²⁸ - سورة الأعراف، الآية: 172.
- ²⁹ - سورة الحج، الآية: 27.
- ³⁰ - الموقع الالكتروني ويكيبيديا، توقيت الدخول: 20:10.
- ³¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج1، ص:731.
- ³² - ليلي توفيق العمري، تلييات العرب، مجلّة دمشق، العدد:3-4، 2005م، المجلد: 21، ص:141.
- ³³ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة، مصر، ط5، 1998م، ص:71.
- ³⁴ - يوسف عبد الفتاح أحمد، قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، عمان، د ط، 1999م، ص:31.
- ³⁵ - موقع موضوع، كيف تصلح بين متخاصمين، 2020-04-27. <https://mawdoo3.com>
- ³⁶ - سورة الحجرات، الآية: 09.
- ³⁷ - سورة النساء، الآية: 128.
- ³⁸ - محمود عيهار، أحد المشايخ الكبار ببلدية البيوض، (حوار) اللقاء بالمدرسة القرآنية بعد العصر، 20-05-2021.
- ³⁹ - سورة النساء، الآية: 114.
- ⁴⁰ - محمود عيهار، المرجع السابق.
- ⁴¹ - الشيخ موساوي، أحد مجاهدين المنطقة، (حوار) لقاء بالمنزل بعد صلاة الظهر 2021/03/12.
- ⁴² - محمود عيهار، المرجع السابق.
- ⁴³ - الشيخ موساوي، المرجع السابق.
- ⁴⁴ - المرجع نفسه.
- ⁴⁵ - ينظر: شبكة الأولوكة، مقالات مسلم يوسف، بتوقيت 22.00.
- ⁴⁶ - سورة البقرة، الآية: 235.

- 47- محمود عيهار، المرجع السابق.
- 48- الشيخ موساوي، المرجع السابق.
- 49- الموقع الالكتروني: هدير الضمير، أقوال وأمثال 165 سنة 2015م، توقيت دخول الموقع: 16:20.
- 50- محمود عيهار، المرجع السابق.
- 51- ناصر الدين حشلافي، إمام مسجد الأزهر الجزائري، (حوار) لقاء بالمسجد، مساء 21-05-2021.
- 52- ناصر الدين حشلافي، المرجع السابق.
- 53- سورة النساء، الآية: 19.
- 54- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسن، صحيح مسلم، شرح: الإمام النووي، دار الحديث، ط1، 1412هـ/1991م.
- 55- ناصر الدين حشلافي، المرجع السابق.
- 56- المرجع نفسه.
- 57- محمد بودخيرة، أمين عام الجمعية الولائية عيون تراث إبداع وفنون لولاية النعامة، لقاء بدار الثقافة لولاية النعامة 2021م مساء.
- 58- المرجع نفسه.
- 59- خالد باهرة، أستاذ رئيسي للتعليم الثانوي بمكن بن عمار، اتصال هاتفي 2021م.
- 60- مخلوف قويدر ولد العيد، فخذ من عرش البكاكرة (حوار مع الأستاذ محمد بودخيرة) صباح 13/02/2021م.
- 61- المرجع نفسه.
- 62- خالد باهرة، المرجع السابق.
- 63- خالد باهرة، المرجع السابق.
- 64- محمد بودخيرة، المرجع السابق.
- 65- حجوبة بوصبيح، ابنة رمضان (أولاد بوفلجة) زوجة مخلوف قويدر، فخذ من عرش البكاكرة (حوار مع الأستاذ محمد بودخيرة) صباح 12/02/2021م.
- 66- مخلوف قويدر، المرجع السابق.
- 67- المرجع نفسه.
- 68- خالد باهرة، المرجع السابق.
- 69- محمد بودخيرة، المرجع السابق.

⁷⁰ - المرجع نفسه.

⁷¹ - المرجع نفسه.

المصادر والمراجع:

أولاً- الكتب:

* القرآن الكريم.

- 1- الألوسي حود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت.
- 2- ابن مسعود أبو عبد الرحمن عبد الله، حديث شريف: حديث صحيح أصله في صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت.
- 3- أبو هريرة - رضي الله عنه - عبد الرحمن بن صخر الدوسي، حديث شريف، تح: علي محمد البخاري، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412 هـ.
- 4- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة، مصر، ط 5، 1998 م.
- 5- ربيع الصبوت، اللغة والتراث في القصة والرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، 2003 م.
- 6- رمضان الصبّاغ، في نقد الشعر العربي المعاصر - دراسة جمالية-، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط 1، 2002 م.
- 7- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى- من أجل وعي جديد بالتراث-، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006 م.
- 8- فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي - دراسة ميدانية-، دار المعرفة الجامعية، 2008 م.
- 9- فاروق فورشيد، الموروث الشعبي، دار الشرق، القاهرة، ط 1، 1998 م.
- 10- فوزي العنتيل، الفلكلور: ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، دار المعارف، مصر، 1965 م.
- 11- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002 م.
- 12- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسن، صحيح مسلم، شرح: الإمام النووي، دار الحديث، ط 1، 1412 هـ/1991 م.
- 13- يوسف عبد الفتاح أحمد، قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، عمان، د ط، 1999 م.

ثانياً- المعاجم:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
- 2- إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بيروت، ط2، 1972م.
- 3- الفيروز أبادي مُجَدِّد بن يعقوب، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به: أنس مُجَدِّد الشامي وكريرا جابر أحمد، دون دار نشر، دون بلد، د ط، 1429هـ/2008م.

ثالثاً- المجالات:

- 1- حسين مُجَدِّد فهميم، أدب الرحلات - دراسة تحليلية من منظور راثونجرافي سلسلة عالم المعرفة-، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رقم 138، الكويت، يناير 1989م.
- 2- ليلى توفيق العمري، تلبيات العرب، مجلة دمشق، العدد: 3-4، المجلد 21، 2005م.
- 3- طرد الكيسي، التراث كمصدر في نظرية المعرفة، العدد: 1، دار العودة، 10 أكتوبر 1977م.

رابعاً- المقالات:

- 1- أمين دودة، مهندس دولة وعضو مدير البيئة لولاية النعامة (تقديم معلومات ومعطيات) صباح 2021/02/20م.
- 2- حجوبة بوصبيح، ابنة رمضان (أولاد بوفلجة) زوجة مخلوف قويدر، فخذ من عرش البكاكرة (حوار مع الأستاذ مُجَدِّد بودخيرة) صباح 2021/02/12م.
- 3- خالد باهرة، أستاذ رئيسي للتعليم الثانوي بمكنن بن عمار، اتصال هاتفي 2021م.
- 4- الشيخ موساوي، أحد مجاهدين المنطقة، (حوار) لقاء بالمنزل بعد صلاة الظهر 2021/03/12م.
- 5- مُجَدِّد بودخيرة، أمين عام الجمعية الولائية عيون تراث إبداع وفنون لولاية النعامة، لقاء بدار الثقافة لولاية النعامة 2021م مساء.
- 6- محمد مُجَدِّد، رئيس مصلحة مديرية الغابات لولاية النعامة (تقديم معطيات ومعلومات)، زوالا 2021/02/10م.
- 7- مُجَدِّد محيّم، مفتش السباحة لولاية النعامة، تقديم معطيات حول تاريخ الولاية، زوالا 2021/04/12م.
- 8- محمود عيهار، أحد المشايخ الكبار ببلدية البيوض، (حوار) اللقاء بالمدرسة القرآنية بعد العصر، 20-05-2021م.
- 9- مخلوف قويدر ولد العيد، فخذ من عرش البكاكرة (حوار مع الأستاذ مُجَدِّد بودخيرة) صباح 2021/02/13م.
- 10- ناصر الدين حشلافي، إمام مسجد الأزهر الجزائري، (حوار) لقاء بالمسجد، مساء 2021-05-21م.

- مذكرات التخرج:

- 1- عيسى قوراري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، المشرف، د. حاجيات عبد الحميد بجامعة تلمسان، 2006م.

خامساً- المواقع الالكترونية:

- 1- ستار تايمز، أرشيف السباحة العربية 2013م، 20:30، 2021/05/12م.
- 2- شبكة الأولوكة، مقالات مسلم يوسف، بتوقيت: 22.00.
- 3- هدير الضمير، أفعال وأمثال 165 سنة 2015، توقيت دخول الموقع: 16:20.
- 4- ويكبيديا، مقاومة الشيخ بوعمامة.
- 5- الموقع الالكتروني: www.Alasfoor.org